

اليوم رقم 9

بسم الله الرحمن الرحيم

اليوم سنبدأ مع سور المرحلة السادسة من مراحل الدعوة في مكة، وهي مرحلة بداية التعدي الجسدي من قريش على ضعفاء المسلمين. وهو ما يعني ضمناً أن عدد جديد من مستضعفي مكة من عبيد وموالي استجابوا لدعوة الرسول مما زاد من حنق قريش وأجبت غضب كبرائها لدرجة أن بعضهم تناسى أو تجاوز العهد القديم بإبقاء مكة بلد حرام آمن لا يمس ساكنه، والذي احترمته قريش وكل سكان جزيرة العرب منذ آلاف السنين. ومن المحتمل أن من تجرأ على التعدي على المستضعفين برر ذلك كونهم أقل إنسانية وقدرأً، وبالتالي فالتعدي عليهم لا يعني التعدي على العهد المكي. لأن محمد وكل من ينتسب لقريش من المسلمين لم يتعرض لأذى جسدي أبداً، وإلا لتحدث عنه القرآن.

وسواءً كان هذا هو السبب أو سبب آخر فقد تعرض من أسلم حديثاً من المستضعفين للأذى الجسدي، وهو ما ميز هذه المرحلة عن المرحلة السابقة – الخامسة - التي تعرض فيها المسلمون كافة ورسول الله للأذى النفسي والسخرية، لكن لم يتجرأ أحد من قريش على أن يبسط يده لأي منهم بسوء.

ومن أهم ملامح هذه المرحلة إعطاء المسلمين الحق بمعاقبة كل من يعتدي على أي منهم بمثل ما اعتدى دون تجاوز. ورجال من قريش هم المعتدي، ومستضعفي مكة المسلمين هم من اعتدى عليهم.

كما أن من أهم ملامح هذه المرحلة نشوب خلاف بين فئتين من المسلمين، وسيكرر بل وسيستمر الخلاف بينهما. وإحدى هاتين الطائفتين ممن أسلم وهو ينتسب لقريش لكنه أبقى على علاقة الود والموالاة لأقاربه المشركين، وسيستمررون بمولاتهم طوال دعوة محمد، برغم تحذيرات القرآن المتكررة لهم. أما الفئة الثانية فهم – كما سنكتشف – من آمن من المستضعفين. هذا الخلاف والولاء للكفار ولد أول فئة منافقة في تاريخ الإسلام سيعاني منها المسلمون والإسلام أثناء وبعد عصر الرسول.

وسور هذه المرحلة أربع سور هي: الشورى، بني إسرائيل، الشعراء، وهود.

ونبدأ مع سورة الشورى

السورة في مجملها تخاطب قريش أو تتحدث عنهم، وتخاطب الرسول والمسلمين، وتفرض بعض التشريعات.

وتبدأ السورة بالتأكيد على أن من يوحي لمحمد هو الله الذي أوحى للرسول قبله، وهو العلي العظيم الذي خلق كل شيء: حم {1} عسق {2} كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {3} لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ {4} تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {5}.

(الآية: 3) دليل على أن الدين واحد.

(الآية: 5) تقول أن الملائكة تستغفر لمن في الأرض، من باب التمني لهم بالتوفيق، وليس لأن الله سيغفر لمن في الأرض لأن الملائكة تدعوا لهم بذلك، لأن الغفران يتطلب الإيمان والعمل الصالح من الشخص ولا يعتبر دعاء غيره له لأنه ليس عمل وممارسة من الشخص.

(الآية: 6) دليل على أنه ليس من مسئولية الرسول هداية البشر، ودوره يتوقف في التبليغ (أي تلاوة القرآن عليهم): وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ {6}.

(الآية: 7) دليل على أن محمد يجب أن يبلغ أم القرى (مكة) ومن حولها (بما في ذلك بني إسرائيل يثرب): وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ {7}. ويمكن أن يفهم من قوله "ومن حولها" أنها تقول للرسول أن يتصل بالمناطق حول مكة. وبالتالي فإن كان قد ذهب للطائف فهو في هذه المرحلة وليس في بداية البعثة (كما تزعم كتب التراث). والآية لم تقل أنه رسول لكل الناس لأن المقام هنا هو لمخاطبة قريش وما حولها، ولا حاجة لأن يقال أنه رسول لكل الناس، لكن متى ما كان المقام يستدعي التأكيد أنه رسول لكل الناس فالآيات تؤكد ذلك.

(الآيتان: 8-9) تؤكد اختلاف الناس عن الحق، مع وضوح الحجة: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ {8} أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {9}.

(الآية: 10) **تخاطب المسلمين. وتشير إلى خلاف وقع فريقين من المسلمين، لعله أول خلاف يقع في الإسلام. ((هذا الخلاف سيتكرر وسيدوم الخلاف بين الفريقين، وسينتج عنه مشاكل جمة**

للمسلمين والإسلام أثناء وبعد عصر الرسول، كما سنتبين من سور قادمة)). والآية تشير إشارة ولا تتحدث عما حصل بالتفصيل، لكننا سنعرف ذلك في آية قادمة في سور متعددة: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ {10}.

(الآية: 11) تدعوا قريش للتفكير بالخلق: فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ {11}.

ويستفاد منها أن الإنسان خلق من رجل وامرأة من نفس الموصفات، وهو المعني بقوله "وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً" أي نفس النوع والتركيب، مثلما أن الأنعام خلقت من نوع واحد بجنس ذكر وجنس مؤنث. وآخر الآية دليل على أن الله جل جلاله ليس له مثيل أو شبيه، وكل ما لنا ولأي من خلقه فليس لله منه شيء.

(الآية: 12) تشير إلى ثراء بعض رجال قريش، وبسط الرزق لمن يشاء سبحانه لا يعني أنه قد قرر مسبقاً أن فلان سيكون ثرياً وفلان سيكون فقيراً. لكنها تعني أن ما يجري في كونه بمشيئته، ومن أصبح ذو مال فلان عوامل توفرت له. وهذه العوامل لا يمكن أن تخرج عن مشيئة الله: لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {12}.

(الآية: 13) الدين واحد، والمخاطب المسلمون في مكة: شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ {13}. **وكانها تشير إلى الخلاف الذي وقع بين المسلمين والذي أشارت له الآية 10 السابقة.**

(الآية: 14) تقول أن الناس يختلفون حول الدين: وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ {14}.

(الآية: 15) تكرر على قريش عرض التعايش بسلام بين المسلمين والمشركون، وهو ما تحدثت عن سور سابقة: فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ {15}.

(الآية:16) إشارة لاستمرار قريش بجدال الرسول لدحض الحق: وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ {16}.

وسيتكرر كثيراً ذكر جدال قريش للرسول في سور قادمة، كون قريش استخدمت هذا الأسلوب في محاولة يائسة للحد من دخول الناس للإسلام.

(الآيات:17-18) تتحدث عن إنكار قريش للبعث وتكرار سؤالهم للرسول أن يخبرهم موعده (من باب السخرية): اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ {17} يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ {18} اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ {19}.

(الآية:20) بما أن قريش متعلقة بالدنيا ومتعها التي تملك منها الكثير فهي راغبة عن الآخرة، ومن الممكن أن بعض المسلمين تساءل لماذا لا يحرم الله قريشاً من أموالها لأنها كافرة. وفاتهم أن الدنيا ومتاعها لا تساوي شيئاً، وأنها مشاعة لكل الناس بغض النظر عن المعتقد. وكسب المال يعتمد على عوامل عدة ليس منها الإيمان والكفر، وهو ما تخبرهم به الآية: مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ {20}.

(الآيات:21-22) نتساءل إن كان لقريش شركاء مع الله يشرعون لهم دين، وسيلقون جزاء كفرهم في الآخرة بينما ينعم المؤمنون بالنعيم: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {21} تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ {22}.

دليل على أن العقاب لا يحل في الدنيا.

(الآية:23) تكرر ما ذكرته سور سابقة من أن الرسول لا يطلب أجراً على دعوته، ولا يحق له ذلك. وفي هذه الآية تقولها بصياغة أخرى، وهي أنه يدعوهم لما ينقذهم لأنهم أقاربه وقبيلته ومن المودة أن يسعى ويتمنى لهم الخير الذي يتمناه لنفسه: ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْنَرَفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ {23}.

بعض المفسرين قالوا أن الآية تتحدث عن أبو طالب وابنه علي. ومن الواضح أن هذا لي للمعنى لم ينزل الله به من سلطان.

وتستمر الآيات في الحديث عن مواقف قريش

(الآية: 24) تشير لاتهام قريش محمداً بالكذب، وهي في نفس الوقت دليل على أن الوحي ينسخ في ذاكرة محمد (قلبه)، ولو شاء الله لمسحه: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {24}.

(الآيتان: 25-26) الله يقبل التوبة وهذا يتم بموجب ضوابط بينها الله في سور أخرى سنذكرها في حينها: وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ {25} وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ {26}.

ولا تتم التوبة بارتجال أو بعاطفة فيغفر لهذا ولا يغفر للآخر، كما يفعل البشر، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهو ما يشير له قوله: " وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ". فالذي تقبل توبته من يتوب ويعمل صالحاً، كما يؤكد ذلك القرآن في مكان آخر: {إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} {60} مريم.

(الآية: 27) تعود لموضوع غنى رجال قريش، الذي ذكرته الآية 20، وتقول أن الله لم يبسط في الأرض إلا قليل من الرزق ولو بسط أكثر لبغوا أكثر: وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ {27}. (وقريش بغت وهي لم تعط إلا القليل).

وتستمر الآيات تدعوا قريشاً للتفكير: وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ {28} وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ {29} وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ {30} وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ {31} وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ {32} إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ {33} أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ {34} وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيسٍ {35}.

(الآيتان: 30-31) تتحدث عن مصيبة حلت بأهل مكة.

(الآية:35) تشير لجدال قريش لمحمد لعلمهم يلجمون صوت الحق، وهو ما استمرت قريش تمارسه.

(الآيات:36-43) تتحدث عن التشريعات المطلوبة من المسلم في تلك اللحظة، وهي نفس التشريعات السابقة التي ذكرت في سور سابقة مثل المؤمنون والمعارج، وأضيف لها تشريعات اقتضتها الظروف والأوضاع الجديدة للمسلمين في مكة، والمتمثلة بتعرض المستضعفين منهم لتعدييات جسدية من بعض قريش، وحدث بعض الخلافات بين المسلمين: فَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {36} وَالَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ {37} وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {38} وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ {39} وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {40} وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ {41} إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {42} وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {43}.

والتشريعات القديمة، هي: اجتناب كبائر الإثم والفواحش، إقامة الصلاة، الإنفاق.

والتشريعات الجديدة:

" وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ " عدم الغضب، وذلك لأنه يؤدي للمشاحنات. سواء مع قريش لو استفزتهم أو بين فريقين من المسلمين كما أشارت له الآية 10، والآية 13.

" وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ " يجب أن يشرع المسلمون قوانينهم التي تهمهم (تهم الأمة) بموجب استفتاء شوري يشارك فيه كل عاقل بالغ منهم. وهذا التشريع جاء نتيجة لما حدث بين المسلمين من خلاف لعدم اتفاقهم في الرأي وفيما يجب فعله في أمر يهمهم. وهو ما يستنبط منه قاعدة دستورية هامة في دولة الإسلام يتم اعتمادها في تشريع وسن القوانين، لكل ما يهم الأمة من أمور دنياها. بحيث يصوت على القانون لتشريعه أو تعديله أو إلغائه. وهو ما يعني أن السلطة التشريعية في دولة الإسلام لا تكون بيد شخص واحد أو حتى مجموعة صغيرة تفرض ما تشاء من قوانين وتطبق على بقية الناس. فدستور دولة الإسلام يقر كل القوانين (التشريعات) القرآنية، ويبين كيف تشرع القوانين المدنية التي على مستوى الأمة، وسن عرف مستوى ثالث للتشريع والخاص بالهيئات التي تهم قطاع معين ولا تصل لمستوى الأمة.

ومن القوانين القرآنية التي شرعتها هذه السورة، قوله تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ" {39} وَجَزَاءَ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {40} وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ {41} إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {42}."

هذا القانون يوجب على المسلمين (برغم قلتهم وضعفهم في مكة) أن ينتصروا ضد البغي (الظلم والتعدي) عليهم من قبل كبراء قريش، والمتمثل بالتعدي الجسدي الذي تحدثت عنه آيات السورة. ويواصل هذا القانون القول أن دفع الظلم يعني أن يعاقب المعتدي بمثل ما تعدى به. فمن قطع يداً تقطع يده لكن لا يقتل أو يجلد فوق قطع اليد. ويواصل القانون قائلاً: أن من اعتدى عليه وعفا عن المعتدي فهو خير له وللمسلمين، لأنه بهذا التصرف يعمل على استمالة قلوب المعتدين. وتعود الآيات وتؤكد أن من عاقب المعتدي بمثل ما اعتدى به عليه، فهو حق مشروع للمعتدى عليه ولا ذنب عليه. وبالنسبة للمعتدي القرشي فله عذاب أليم: وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وهذا ينفي ما تورده بعض الأحاديث التي تأمر بالصبر على الظلم.

ثم تنوع السورة كفار قريش: وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ {44} وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ {45} وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ {46} اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّجَاءٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ {47}.

وتختتم السورة بمخاطبة محمد: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَ بِهَا وَإِنْ نُصِيبُهُمْ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ {48} اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ {49} أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ {50} وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ {51} وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {52} صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ {53}.

(الآية:48) تأكيد لما كررته سور سابقة أن محمد ليس مسئولاً عن هداية البشر، وتقف مسئوليته عند التبليغ المتمثل بقراءة القرآن فقط.

(الآيتان:49-50) هذه الآيات على ما يبدوا تخاطب الرسول بعد أن فقد زوجته خديجة ولم يرزق منها بذرية، وتهون عليه الوضع، خاصة أنه في مجتمع يرى أن الأولاد زينة الحياة الدنيا، والولد خاصة الذكر يعتبر فخر لا يدانيه فخر. وتواصل الآيات التالية مخاطبة محمد، قائلة أنك رسول يوحى إليك كما أوحى إلى رسل قبلك، ومحمد كان ينسخ الوحي في ذاكرته.

(الآية:52) دليل على أن محمد لم يعلم أنه سيكون رسولاً قبل البعثة، ولم يظهر عليه ما يدل على أنه سيكون رسول. وهذا ينفي نفيًا قاطعاً كل القصص التي تمتلئ بها كتاب التراث التي تتحدث عن علامات النبوة والصفات التي تدل على أنه نبي... الخ.

(الآيتان:52-53) تؤكد أن محمد يهدي لصراط الله المستقيم، بما يتلوه على الناس من وحي (القرآن).

ثم نزلت سورة بنو إسرائيل

وهي سورة تسمى في غالبية المصاحف الحالية باسم "الإسراء" وهذا ليس اسمها الأصلي والذي كانت عليه زمن رسول الله. والدليل أنها في التفسير الأقدم تسمى السورة ((بني إسرائيل)) مثل التفسير المنسوب لابن عباس، وفي تفسير سفيان الثوري، وغيرهما. بل أن تفسير الطبري يسمي السورة "الإسراء" لكن عندما يتحدث عن تفسير آياتها ينقل بطبيعة الحال أقوال من سبقه، وستجد أنهم يسمونها بني إسرائيل. وهذا مثال على ذلك من تفسير الآية 24، حيث يقول: "حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، قال: في سورة بني إسرائيل إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا... انتهى

ومن الواضح أن تسميتها تغيرت من بني إسرائيل إلى الإسراء بعد أن انتشرت خرافة الإسراء والمعراج بين الناس. وإلا فالسورة اسمها بني إسرائيل لأنها تبدأ بمخاطبتهم، وتعود في آخرها لمخاطبتهم، كما سنرى، والبداية مع:

(الآيات:1-8) تخاطب بني إسرائيل وتحدث عن تاريخهم زمن موسى وبعده: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ {1} وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي

وَكَيْلًا {2} ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا {3} وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا {4} فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا {5} ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا {6} إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْوَوُا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا {7} عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا {8}.

لكن المفسرين اقتطعوا الآية الأولى ونسجوا حولها قصة طويلة عريضة ومتشعبة عن رحلة خيالية قام بها الرسول على ظهر حيوان خرافي بين الحمار والبغل، أسموه "البراق" مقتبس - على ما يبدو - من البرق ليدل على سرعته. وبرغم أنه لا يطير بل يسير إلا أن سيره سريع لدرجة أنه (يضع حافره عند منتهى بصره) كما ورد في وصفه في الأحاديث.

وهذا يستحيل أن يحدث، لأن أي مخلوق لا يمكن أن يضع حافره عند منتهى بصره بدون طيران، وكل ما يمكنه أن يمد حافره هو إلى المدى الذي يتناسب مع طول الساق. نسوق هذا الكلام كمثال على سعة أفق القاص (أو القصاص) الذين ابتدعوا قصة الإسراء والمعراج في كتب التراث. ولن نتبع هذه القصص لأننا سبق وفعلنا في كتاب سنة الأولين.

ولم يكن هناك مسجد اسمه الأقصى في فلسطين زمن رسول الله، بل لم يكن هناك مسجد اسمه الأقصى في فلسطين إلى أن وصل خامس ملوك بني أمية عبد الملك ابن مروان للحكم في العام 65 للهجرة. وأثناء فترة حكمه التي امتدت من 65 - 86 للهجرة أمر ببناء مسجد في إيليا (القدس) وأسماه المسجد الأقصى على المسجد المذكور في أول آية من سورة بني إسرائيل. في وقت كانت فيه مكة تحت حكم عبد الله ابن الزبير وخارج سيطرة حكم بني أمية.

فالسياسة هي سبب بناء قبة الصخرة والمسجد الذي سمي "المسجد الأقصى"، لأن ابن الزبير كان يحكم مكة ويخطب الناس بالحج ويبين مثالب وعيوب ابن مروان ويحرض أهل الشام عليه، فقام عبد الملك ابن مروان ببناء القبة والمسجد وجعل الناس يحجون لها بدل مكة. بناءً على ما ورد في كتاب البداية والنهاية لابن كثير، وهذا نصه:

ابتدأ عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى؛ وكملت عمارته في سنة ثلاث وسبعين، وكان السبب في ذلك أن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكة، وكان يخطب في أيام منى وعرفة، ومقام الناس بمكة، وينال من عبد الملك ويذكر مساوي

بني مروان، ويقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الحكم وما نسل، وأنه طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه، وكان يدعو إلى نفسه، وكان فصيحاً، فمال معظم أهل الشام إليه، وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا، فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج (إلى مكة) ويستعطف قلوبهم، وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة، وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم، ففتح بذلك على نفسه بأن شنع ابن الزبير عليه، وكان يشنّع عليه بمكة ويقول: ضاهى بها فعل الأكاسرة في إيوان كسرى، والخضراء، كما فعل معاوية (ونقل الطواف من بيت الله إلى قبلة بني إسرائيل ونحو ذلك). انتهى كلام ابن كثير

أما المسجد الأقصى المذكور في سورة بني إسرائيل، فليس المقصود به مسجد عبد الملك ابن مروان الذي أسماه المسجد الأقصى، ليغري الناس بالحج إليه. والذي بني لضرورة سياسية ولم يكن تجديداً لمسجد قديم، لموسى أو إبراهيم كما تزعم الإسرائيليات، لأنهما لم يريا فلسطين في حياتهما، ولم يسجداً لله فيها سجدة واحدة.

والأقصى صفة وليس اسم علم. يعني لا يمكن أن يكون هناك مسجد اسمه مسجد الأقصى. والقرآن ذكر أن "عبده" سار في الليل خارجاً من المسجد الحرام في مكة، ومتوجهاً لمسجد قصي بعيد.

وقد أسهبنا في تناول الموضوع في عدة مناسبات وفي سنة الأولين، لكننا نقول هنا:

أنه لو تمنعنا بما قيل عن المعراج فلن نجد له إلا غاية واحدة، وهي توصيل محمد رسول الإسلام إلى إيليا، فلسطين. التي سماها اليهود أورشليم تيمناً بمدينةهم التي تمثل مملكة داود والتي كانت تقع في مناطق جنوب غرب جزيرة العرب، واسمها يور سالم (أورشليم) مدينة سالم أو السلام.

يعني تقديس أورشليم اليهود على حساب رسول الإسلام، بحيث أنها جعلت كبوابة للسماء والله (جل شأنه).

هذا كل شيء !

وإلا لو كان هناك معراج فلماذا كان على الرسول السفر إلى إيليا، فلسطين، إذا كانت الوجهة إلى السماء؟

لماذا لم يرتفع من مكة؟

خاصة أن المسافة من أي مكان على الأرض إلى السماء ستكون متساوية، ولم يقل لنا المفسرون أن إيليا أقرب للسماء من مكة. بل قالوا أن الكعبة تقع مباشرة تحت البيت المعمور الذي زعموا أنه في السماء. وهذا يعني أن مكة هي التي يجب أن يعرج منها.

فإذا كان الهدف هو زيارة السماء، فلماذا لم تتم من مكة؟

أليس في مكة بيت الله الحرام؟

فما الذي يوجد في إيليا أقدس وأطهر من بيته سبحانه؟

الجواب:

هناك معابد لليهود، هناك حائط مبكى لليهود، وهناك بيت اليهود الحرام!

هذا هو بيت القصيد من اختلاق قصة الإسراء.

مختلق القصة أراد أن يمجّد معابد اليهود في إيليا، أو أورشليم كما سموها، وينقص من حرمة بيت الله في مكة، فزعم أن الإسراء تم من مكة إلى أورشليم. وتمجيد اليهودية على حساب الإسلام، استمر طوال قصة الإسراء والمعراج المزعومة. ومن ذلك تلك القصة المزعومة عن فرض الصلاة والتي تصور أن الله جل جلاله فرض خمسين صلاة على الناس يستحيل عليهم توفير وقت لأدائها، وكأنه لا يعرف ما يفعل. لولا نبي اليهود موسى الذي برغم موته تحدث وأقنع الرسول أن يراجع ربه لتخفيض ركعات الصلاة عدة مرات حتى استقرت أخيراً على خمس بدل خمسين. والمشهد يصور محمد مسلوب الإرادة، يؤمر بخمسين فيقبل دون نقاش، فيأمره موسى بالمراجعة فيعود دون نقاش.

((الرسول صلى منذ اليوم الأول للبعثة، ولم تفرض فيما بعد))

ثم ننتقل إلى التساؤل الآخر:

كون الإسراء والمعراج آية (معجزة)، فهذا يعني أنه لم يحدث لمحمد. لأن الله سبحانه وتعالى ينفي نفياً قاطعاً أن يكون محمد أعطي آية، في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، مررنا بكثير منها.

بل ورد النفي في نفس سورة بني إسرائيل التي يقول المفسرون أنها تتحدث عن الإسراء والمعراج: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا {59} بني إسرائيل.

فلا وجود للمعجزات الحسية للرسول على الإطلاق .

ومحمد لم يعط معجزات حسية، لأنه لم يرسل لقومه فقط، ولا لزمانه فقط، وإنما لكل الناس في كل العصور.

والمعجزة أعطيت لرسول سابقين مرسلين لأقوامهم، فإن لم يؤمنوا بعد حدوث المعجزة حل بهم العذاب، أما قريش فليس إسلامها ضروري، وسيبقى دين الله بعدها لكل الناس.

ولو كان محمد أسري به ولم تصدق الرسول للزم وقوع العذاب بهم، كسنة إلهية، كما يقول القرآن.

وفي آخر سورة بني إسرائيل يقول تعالى على لسان قريش: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا {90} أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا {91} أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِلَهُةٍ وَالْمَلَائِكَةِ فَبِلَا {92} أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ فُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا {93} بني إسرائيل.

فالسورة التي تم تأويل آيتها الأولى لتعني الإسراء والمعراج، تنفي نفيًا قاطعًا واضحًا أن يكون الرسول عرج به للسماء: " أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ".

أليست قصة المعراج حولت الرسول لحالم يحلم ويقص حلمه على أنه حقيقة. كما فعل حزقيال في كتاب اليهود المقدس، وكما فعل يوحنا في كتاب المسيحيين المقدس.

أو بعبارة أخرى، لقد نسب للرسول رحلة خيالية سماوية من أناس على علم وإطلاع بالكتاب المقدس لليهود والمسيحيين. (أرجوا ممن يهتم بالموضوع من القراء أن يقرأ كتاب حزقيال وكتاب رؤيا يوحنا اللاهوتي لمعرفة مصدر ما عرف عندنا بالمعراج). وتم إقناع الناس بهذه القصة الخيالية، برغم أن مختلفيها لم يتمكنوا من التفكير بسبب معقول ومقبول لها. لكن المهم عندهم هو ترسيخ فكرة أفضلية موسى على محمد ورب محمد، في موضوع فرض الصلوات.

وترسيخ أفضلية حرم اليهود في إيليا على حرم رب محمد في مكة.

وترسيخ فكرة أن رسول اليهود هو المسيطر في السماء.

وترسيخ أفكار كثيرة شربناها وندافع عنها، مع أنها شرك وكفر بالله.

ومن قرأ سيرة كعب الأحبار فسيعرف أنه أحد أهم مسلمة اليهود الذين رسخوا تقديس ما يعرف اليوم بالقدس، وكان يقول أن الله (تعالى الله عن ذلك) قال عن الصخرة: أنت عرشي ومنك صعدت إلى السماء". وكان كعب حاضراً فتح إيليا (القدس) مع عمر ابن الخطاب، وحاول أن يختار لعمر موضعاً للصلاة بحيث يستقبل الصخرة، لكن عمر فطن لخبثه ونهره بشدة.

وتقديس الصخرة وإيليا ترسخ عند اليهود، فقد جعلوها بيت الله بالنسبة لهم بدل مكة وطن الإسماعيليين. وهذا يظهر لنا أن مسلمة اليهود هم وراء قصة الإسراء والمعراج، وهم من تأول الآية الأولى في سورة بني إسرائيل لتبدوا وكأنها تتحدث عن إسراء لمحمد من مكة لأورشليم الجديدة التي اتخذها اليهود بدل أورشليم الأصلية التي اندثرت في غرب جزيرة العرب. وبعد ذلك اختلقوا قصة المعراج الطويلة العجيبة، لكي يترسخ تعظيمها عند المسلمين.

وقد نجحوا!

ونعود لآيات سورة بني إسرائيل التي حولوا اسمها إلى "الإسراء" لترسيخ تلك القصص الخيالية التي اختلقوها.

(الآيات: 1-8) تتحدث عن إسراء (سير) موسى مع زوجته في الليل عندما رأى النار وتم التكليم، كما ورد في سور كثيرة منها: {فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} {29} القصص.

وقد ذكرنا في أحسن القصص أن موسى بعد أن قضى أجل العهد الذي بينه وبين شيخ بئر مدين على رعي الغنم مقابل الزواج بابنته، سحب زوجه إلى مكة للحج أو العمرة، وخرج من مكة مساءً ليعود إلى بلاد والد زوجته التي أصبحت بلده، وبما أنهم مؤمنون فليدهم مسجد، هو المسجد الأقصى في الآية. ويقع جنوب غرب جزيرة العرب (موطن شيخ مدين وقرب قرية فرعون "مصر" التي كانت موطن موسى).

ولكن موسى عند خروجه من مكة مساءً ضل الطريق ووصل إلى وادي طوى الذي لا يبعد كثيراً عن الحرم، وقد اختفى الآن تحت العمارات الشاهقة والشوارع.

وفي بقعة ما في وادي طوى توقف موسى هو وزوجه للمبيت، عندما رأى النار، وذهب إليها لسؤال من على النار عن الطريق الصحيح وليجلب منها قيس، وهناك حدث التكليم: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى {15} إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى {16} أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {17} النار عات.

المؤسف هو حجر وادي طوى حيث قامت عليه البنايات في مكة الحالية ولم يبق سوى بئر طوى وبشكل مزري محاطة بجدار وباب مكتوب عليه (بئر طوى ماء غير صالح للشرب). بينما تم الاهتمام ببئر زمزم التي بناها عبد المطلب القرشي الوثني. ولكي يترسخ لدى الناس قدسية البئر، نسبت كتب التراث للملائكة حفرها في قصة مختلقة أخرى عن طرد إسماعيل لابنه إسماعيل وأمه الرقيق. وهو ما يخالف نص القرآن الذي يؤكد أن إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم من أم واحدة ولا وجود لهاجر إلا في مخيلة اليهود الذي أدخلوا قصتها للتراث الإسلامي للحط من قدر ونسب أبناء عمهم إسماعيل.

كل هذا لأن إسماعيل كلف بالقيام على البيت مع والده ولم يقبل أن يشاركه إسحاق هذا الحق الإلهي. فغضب إسحاق وغادر مكة للبادية مع عائلته ومات هناك، وبقي ابنه يعقوب وعائلته يرعون الغنم والإبل، إلى أن أحضرهم يوسف لمصر للعيش هناك.

وبقي الحقد عند اليهود ضد بني إسماعيل فحولوا الحقائق وزوروا التاريخ لتلميع صورتهم وتحقير بني عمهم. فجعلوا العالم كله تناسل من ثلاثة أبناء لنوح. الأفضل هو سام أب اليهود، ويافث أب الصفر، وحام أب السود والعرب (بني إسماعيل) والذي لعن والدهم كنعان على لسان جده نوح. فهم شعب ملعون، بينما اليهود شعب الله المختار. والقصص كثير والتاريخ كله مزور لصالح اليهود وضد بني إسماعيل والعرب عامة. وكالعادة نرت هذا التاريخ ونتبناه وندافع عنه.

والآيات 1-8 تخبرنا ما حدث لبني إسرائيل: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ {1} وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا {2} ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا {3} وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا {4} فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ

وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا {5} ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا {6} إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا {7} عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا {8}.

لقد تعرضوا مرتين لغزوات خارجية اجتاحت بلادهم. الأولى بعد هلاك فرعون وعودة بني إسرائيل لاستيطان مصر. وبعد فترة من وفاة موسى وعيسى تعرضت القرية لاجتياح خارجي تسببت في هروب بني إسرائيل وتشتتهم. ثم تجمع كثير منهم في مملكة داوود التي أصبح ملكاً لها بعدما قتل ملكها، مع أنها تقع في أرض ليست لبني إسرائيل، ولكنهم لجأوا إليها بعد هروبهم: {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} {251} البقرة.

وبعد حين وفي أجيال لاحقة، تعرضت تلك الدولة لغزو خارجي تسبب في تشتت اليهود وبني إسرائيل وسبي الكثير منهم. وقد تكون هذه الغزوة هي التي سبي فيها بنو إسرائيل إلى بابل الفارسية (إن صدقت قصة اليهود).

(الآيتان: 9-10) تتحول السورة لتؤكد على أن الدعوة تكون بالقرآن فقط: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا {9} وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {10}.

والآيتان تعد المؤمنين وتتنوع الكافرين.

(الآيات: 11-21) دعوة عقلانية، ووعد ووعد، ومواضيع أخرى: وَيَذْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا {11} وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّلْمُبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْجِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا {12} وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا {13} أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا {14} مَّنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا {15} وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا {16} وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا {17} مَّنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا {18} وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا {19} كَلَّا نُمَدِّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا {20} انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا {21}.

(الآيتان: 13-14) تتحدث عن صحيفة الأعمال، وتصور هنا وكأنها طائر معلق في عنق صاحبه يسجل أعماله. وتؤكد أن الحساب سيكون بناءً على ما سجل.

(الآية: 15) تؤكد ثلاثة أمور: 1- الدين خيار شخصي. 2- لا تقبل الأعمال بالنيابة (يعني ما يقبل من عمل هو ما يقوم به الشخص لنفسه وليس العمل الذي يقوم به غيره نيابة عنه. مثل ما هو سائد الآن، كالحج عن الغير أو الصدقة بعد موته ... الخ). 3- كل أمة لم يبعث فيها رسول لا تعذب لو كفرت. وحتى بعد رسالة محمد، فكل أمة أو مجتمع لم يسمع برسالة محمد ولم تصله، فلن يعذب.

(الآيتان: 16-17): وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا {16} وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا {17}.

المال يوفر الترف، والترف يقود للموبقات والظلم والطغيان والكبر. والطاغية صاحب المال، يعيث في الأرض الفساد، ويخرب المبادئ والقيم. لأن الفقير سيتنازل عن المبادئ والمعتقدات في سبيل ما يجود به الغني عليه. وإذا فسق أهل المال والسلطة فسق المجتمع كله تبعاً واحتياجاً لهم.

(الآيات: 18-21) تؤكد ما ورد في الآية 20 من سورة الشورى السابقة وغيرها، والذي يقول أن الكسب في الدنيا لا يعني رضا الله ولكن يخضع لعدة عوامل متى توفرت زاد الرزق والكسب ولا علاقة لها بالدين، لأن الدنيا مشاعة لكل الناس: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا {18} وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا {19} كَلَّا نُمَدِّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا {20} انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا {21}.

(الآيات: 22-39) تخاطب المسلمين في مكة وتتحدث عن التشريعات المطلوبة في تلك الفترة لدخول الجنة: لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا {22} وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا {23} وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا {24} رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غُفُورًا {25} وَآتِ

ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا {26} إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا {27} وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا {28} وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا {29} إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا {30} وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرِزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا {31} وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا {32} وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا {33} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا {34} وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمَ وَزِنُوكُم بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا {35} وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا {36} وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا {37} كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا {38} ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا {39}.

بعض هذه التشريعات فرض لأول مرة وبعضها تأكيد لما سبق وفرض، كما يلي:

البعد عن الشرك وعبادة الله وحده (العبادة تعني إتباع تشريعات المشرع، وكل من تبع مشرعاً غير الله فيدخل في دائرة عبادة غير الله).

الإحسان بالوالدين (تعاملاً معنوياً ومادياً) بغض النظر عن دينهما. (لأن الحديث موجه للمسلمين في مكة وليس من المستغرب أن يكون هناك مسلم أبواه أو أحدهما كافر).

والآية: 28 تقول: وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا.

الإنفاق في المجالات التالية: لذوي القربى: هدايا، إعانات للمحتاج... الخ. والمسكين، وابن السبيل (ويدخل فيه الآن الوافد).

تحريم التبذير، فالمبذر أخ للشيطان، أي شبيه له، والشيطان كافر، ويكون المبذر كافراً أيضاً.

والتبذير هو صرف المال في أي مجال بكميات كبيرة للزهو والتفاخر والتباهي حتى لو كان في الأصل حلال، مثل شراء السيارات الفارهة، والمجوهرات الغالية الثمن والملابس والبيوت... الخ.

تحريم البخل أيضاً. وقتل الأولاد خشية إملاق، لئلا يضطرهم الفقر للسؤال، المهين الذي لا تقبله قريش. فكان فقيرهم – على ما يبدو – يقتل أطفاله خوفاً من أن يقعوا في ذاك العيب.

وتحريم الزنا. وقتل النفس. أكل مال اليتيم والبعث به وعدم الحرص على تنميته وحفظه. الوفاء بالعهد والمواعيد للفرد والجماعة (وهذا مفقود تماماً في حياة المسلمين اليوم، مع أنه وحده كاف لدخول النار).

والبعد عن الغش التجاري الذي عبرت عنه الآية هنا بالوفاء بالكيل، ولكنه يشمل كل ما يمكن اعتباره غش وتدليس للمستهلك حتى الإعلانات التجارية التي لا تقول الحقيقة أو تخفيها.

ونشر الإشاعات (والمقصود هنا هو ما يتعلق بأعراض الناس أو حياتهم الخاصة، وليس الإشاعات السياسية).

البعد عن أي مظهر مهما صغر من مظاهر الكبر والخيلاء (والمجتمع المسلم اليوم في هذه البلاد يقوم على الخيلاء ويستسهله في المأكل والملبس والثياب والكلام والتصرف وكل الجوانب الحياتية الأخرى، برغم أنه وحده كاف لدخول النار).

(الآية: 39) تعيد التأكيد على البعد عن الشرك، وتختتم بالقول أن مصير من يخالف هذه التشريعات هو جهنم ملوماً مدحوراً.

(الآيات: 40-52) تتوجه لقريش لتفنيد مزاعمهم عن الله والرسول: أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا {40} وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا {41} قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا {42} سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا {43} تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غُفُورًا {44} وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا {45} وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا {46} نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا {47} انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا {48} وَقَالُوا أَنِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا {49} قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا {50} أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ

مَتَّى هُوَ قُلٌّ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً {51} يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا {52}.

فالملائكة ليست بنات الله (40)، ولو كان مع الله آلهة لحاولوا الوصول لملك الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً (42-44).

وقريش تزداد نفوراً من القرآن (41)، وكأن على قلوبهم أكنة ولا يسمعون، ولكي يبرروا موقفهم الرافض كانوا يتهمون محمد بأنه مسحور أو كاذب يزعم ما لا يعقل. لكن البعث سيقع. (45-50).

(الآية: 51) تصور قريش وهم يلحون على محمد بالسؤال عن موعد البعث سخرية وليس للتصديق. وتجيئهم الآية التالية أن البعث سيكون في يوم لا تستطيعون العصيان وستشعرون أن مكوثكم في الدنيا لم يزد عن فترة قصيرة (52).

(الآيتان: 53-54) وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا {53} رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا {54}.

تتوجه لمسلمي مكة طالبة منهم أن يبتعدوا عن المشاحنات والخلاف، وهو الذي ذكر لأول مرة في الآية العاشرة من سورة الشورى. وهنا أود أن أسترعي انتباه القراء إلى أن هذا الخلاف الذي نشب بين طائفتين من المسلمين في بداية المرحلة السادسة واستمر هنا، سيستمر طوال ما بقي من مراحل الدعوة في مكة، وسينتقل مع المسلمين للمدينة بعد هجرتهم وسيبقى إلى ما بعد وفاة رسول الله. وسيكون من أهم أسباب ما حدث في بدر وهزيمة المسلمين في أحد وفي تمكين قريش من حكم دولة المسلمين بعد عصر الرسول.

وهذه السورة وسورة الشورى السابقة لم يذكر فيهما من هما الفريقان من المسلمين الذين حدث بينهم الخلاف، لكننا سنتعرف عليهما فيما بعد. ولأن الموضوع هام جداً، بل من أهم العوامل التي قوضت الإسلام بعد رسول الله فعلى القراء أن يحيطوه بانتباههم بعناية وتركيز.

الآية 54 تؤكد أن الرسول ليس وكيلاً على أحد ولا يسأل عن هداية الناس.

(الآية: 55) تقول: " وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا " التفضيل بين النبيين بما أعطوا وليس بمكانتهم عند الله، كما يظن البعض.

فيقولن أن محمد أشرف الأنبياء والمرسلين، لأن القرآن ينفي ذلك، مثل قوله تعالى: {أَمَرَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} {285} البقرة.

ثم تتوجه السورة بالخطاب لقريش: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا {56}.

فلن تنفعكم أوثانكم.

وتخاطب السورة المؤمنين في تلك الفترة: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا {57}.

(الآية: 58): وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا.

تأكيد على أن البشر سينقرضون قبل موعد انهيار الكون، وهذا ينفي ما يزعم المفسرون من علامات للساعة تسبق قيام القيامة.

(الآية: 59) تأكيد قاطع أن الرسول محمد لم يؤت أي معجزة (آية): وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا {59}.

(الآية: 60) نتحدث عن حلم رآه الرسول، ويبدو أنه أخبر به كعادة الناس في وقته، فازعج قريش كونهم يؤمنون بتحقيق الأحلام: وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمُلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا {60}.

فما هي هذه الرؤيا؟

لا يرد ذكر للرؤيا التي رآها الرسول في القرآن إلا في سورة الفتح المدنية، التي نزلت بعد أن دخل الرسول والمسلمين مكة فاتحين، وأعلنت قريش استسلامها: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} {27} الفتح.

ويكون الرسول في مكة قد رأى أن المسلمين سيتغلبون على قريش وسيحكمون مكة، وهو ما أغاظ قريش لما قص رؤياه عليهم، لأنهم ممن يعتقدون بالأحلام.

(الآيات: 61-65) خلق آدم وإبليس: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً {61} قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَآخُتَنُكَ نُرِّيْتَهُ إِلَّا قَلِيلاً {62} قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً {63} وَاسْتَغْفِرُكُمْ مَنْ اسْتَغْنَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً {64} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً {65}.

(الآية: 64) كناية على أن يفعل إبليس كل ما يستطيع، وإلا فليس له خيل ولا مشاة، ولن يشارك أحداً بماله وولده.

الآيات التالية دعوة للتفكير: رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِنَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً {66} وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً {67} أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً {68} أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً {69} وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً {70}.

ذكر السفن في البحر في عدد من الآيات التي تخاطب قريش دليل على أن قريش معتادة على السفر في البحر، وقد يكون ذلك من وإلى الشاطئ المقابل في البر الأفريقي (شرق السودان الحالي)، وهو ما يعضد ما ذهبنا إليه أن مستضعفي مكة قد هاجروا لتلك البقاع، وليس لما يعرف اليوم عند العرب بالحبشة (إثيوبيا).

(الآية: 71) الحساب سيكون بموجب ما سجل في صحيفة الأعمال التي صورت هنا بكتاب: يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً {71}.

وتكفي الآية المؤمن بمن يُؤتى كتابه بيمينه.

والآية التالية 72 تصور مستحق النار بالأعمى كناية عن الضلال: وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً {72}.

(الآيات: 73-75) قريش حاولت استمالة محمد وكاد أن يضعف لكنه لم يفعل، فجاءت الآيات تحذره: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلاً {73}

وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا {74} إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا {75}.

(الآيتان: 76-77) قريش منذ فترة وهي تحاول طرد محمد أو قتله – كما مر بنا في سور سابقة - والسورة هنا تخبرنا بمحاولة جديدة لاستفزازة عليه يخرج من مكة. ولو طردوه لحل بهم العذاب، كما حل بأمم سابقين: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يُلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا {76} سَنَّةً مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا {77}.

(الآيتان: 78-79) تفرض وقتين للصلاة، بعد أن كان المسلمون طوال السنوات السابقة يصلون دون تحديد أوقات: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا {78} وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا {79}.

والوقت الأول هو صلاة المغرب، التي تحدد الآية بدايتها من دلوک الشمس (غروبها) إلى أن يختفي الغسق. أما الوقت الثاني فهو صلاة الفجر والذي أشارت له الآية بقرآن الفجر. وقد ذكرت صلاة الفجر – عرضاً – في سورة النور المدنية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {58} النور.

ويكون المسلمون في مكة قد بدأوا يصلون في وقتين محددين منذ أن نزلت هذه السورة.

(الآيتان: 80-81) تتوجه بالخطاب لمحمد: وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّي مِّن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا {80} وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا {81}.

شحد للهمة ومؤازرة.

(الآية: 82) دليل على أن القرآن شفاء للنفوس وليس الأبدان، كما يزعم من يستغل القرآن وكأنه يشفي من الأمراض ليمتص أموال الناس بالباطل: وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا {82}.

وهو تأكيد لما ذكرته الآية 57 من سورة يونس السابقة.

(الآية:83): وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا {83}.
الإنسان والمقصود قريش ينسى ربه في الرخاء ويعود له في الشدة. تكرر هذا التأكيد في سور سابقة مثل: فصلت:51، وسور تأتي.

(الآية:84) دعوة للتعايش السلمي بين قريش والمسلمين: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا {84}.

وتظهر الآية التالية بعض أسئلة قريش لمحمد التي لا تريد من ورائها تبين الحق بل إحراج محمد وإظهاره بصورة الكاذب لو عجز عن الإجابة: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا {85}.

ولأن قريش غير جادة في البحث عن الجواب، ولأن الإجابة لن تفهمها قريش لأنها فوق حدود مداركها فلم تجب الآية.

(الآيتان:86-87) دليل على أن القرآن ينسخ في ذاكرة الرسول ولم يكتب في مكة: وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا {86} إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا {87}.

وهو تكرر لما ذكرته الآية 24 من سورة الشورى.

(الآيتان:88-89) دليل على أن الرسول يدعوا الناس بالقرآن فقط، ولا يستخدم عباراته الشخصية: قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا {88} وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا {89}.

(الآيات:90-94) تقول أن قريش تطلب من الرسول معجزات، ولو تحققت لهم مطالبهم فلن يؤمنوا وسيبحثون عن تبريرات أخرى. وتخبرهم أن محمد لا يستطيع أن يقدم لهم المعجزات لأنها من الله القادر عليها أما محمد فكونه رسول لا يعني أنه أصبح أعلى قدرة من البشر: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا {90} أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَافَهَا تَفْجِيرًا {91} أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا {92} أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا

كِتَابًا نَقَرُّوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا {93} وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ
الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا {94}.

وترد الآية 95 على طلب قريش نزول الملائكة: قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا {95}.

لو كان أهل الأرض ملائكة لأرسل لهم ملائكة مثلهم.

وتقول الآيات (96-99) أن الهداية خيار شخصي وتتوعد المكذبين بصور حسية وكنائيات تصور
حالهم: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا {96} وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا
مَّاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا {97} ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَنَذَا كُنَّا
عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا {98} أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا {99}.

(الآية: 100) عود للحديث عن أن تجار قريش مهما امتلكوا من مال فلن ينفقوا منه القليل
للمحتاجين وللتكافل الاجتماعي: قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا {100}.

وهو ما رددته سور كثيرة.

(الآيات: 101-104) تعود السورة للحديث عن بني إسرائيل كما في بدايتها: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا {101}
قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاحِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ
مَثْبُورًا {102} فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا {103} وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ
لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا {104}.

(الآيات: 105-107) دليل على أن الرسول كان لا يدعوا بغير القرآن: وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ
نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {105} وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُثٍ وَنَزَّلْنَاهُ
تَنْزِيلًا {106} قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ
لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا {107}.

(الآية:107) أوتوا العلم = أوتوا الدين والمقصود هنا بني إسرائيل أهل الدين السابق (دين موسى). وليس معنى أهل العلم رجال الدين.

(الآيات:107-109) تقول إذا لم تؤمن قريش بالقرآن فسيؤمن به المسلمون من أهل الأديان السابقة (هي هنا تشير لبني إسرائيل الذين دخلوا الإسلام): قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا {107} وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا {108} وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا {109}.

(الآية:110) ترشد الرسول لكيفية القراءة في الصلاة، بأنها ليست جهرية ولا سرية ولكن بين ذلك: قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا {110}.

فهل علينا أن نتلوا في صلاتنا بصوت خافت لا سري ولا جهرى كما تقول الآية؟
أم أن نستمر كما نحن الآن؟

لكن لو استمرينا الآن فماذا نفعل بهذه الآية؟

لأنه لا يوجد آية في القرآن لا يعمل بموجب أمرها.

والآية تخاطب قريش وتقول لهم ليس المهم أن ندعوا الله بأي اسم له سبحانه. وهي دليل على أن الرحمن معروف لقريش قبل الإسلام، وليس من اختراع محمد كما يزعم بعض المستشرقين الذين لم يتعمقوا بدراسة القرآن أو تعمّدوا تضليل الحقائق.

وتختتم السورة بأمر محمد بحمد الله الذي لم يتخذ ولداً وليس له شريك (في إشارة لبعض معتقدات قريش التي تظن أن لله بنات هم الملائكة، وتعبد آلهة مع الله): وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا {111}.

ثم نزلت سورة الشعراء

ولعل أهم ما حدث في المرحلة السادسة قبل نزول سورة الشعراء، ما يلي:

- أن قريش سعدت من تعدياتها على المستضعفين المسلمين الذين دخلوا الإسلام في هذه المرحلة بعد أن بدأ القرآن يخاطبهم ويحذرهم من جهنم التي سيدخلونها لو أبقوا على كفرهم مرضاة لأسيادهم كبراء قريش.

- القرآن يعطي المسلمين الحق في أن يعاقبوا المعتدي (من قريش) بمثل ما اعتدى به عليهم دون تعدي وتجاوز. وهذا يخالف ما ترسخه كتب التراث من أن قتال المعتدي لا يجوز إذا كان يتفوق بالعدد والعتاد. ويخالف مقولة الصبر على الظلم أفضل من دفع ظلم الظالم وعدم السكوت على الظلم. ويعني أن المطالبة الحاصلة في البلاد العربية اليوم بالتحرك من الظلم تتفق تماماً مع ما أوجبه القرآن. فدفع الظلم واجب.

- القرآن يفرض تشريعات جديدة مع التأكيد على تشريعات سابقة. وهذا يعني تنامي أعداد المسلمين مكونين مجتمعاً مسلماً، لأن التشريعات تفرض بعد تكون مجتمع مؤمن.

- وقوع خلاف بين فئتين من المسلمين، وهذا الخلاف سيستمر طوال فترة الدعوة في مكة وفي المدينة وإلى ما بعد وفاة رسول الله. ويمكن القول أن هذا الخلاف هو أول عامل سيؤدي لانحراف المسلمين عن الدين فيما بعد رسول الله، ويسهل استيلاء قريش على حكم دولة المسلمين.

ونعود لسورة الشعراء التي بين أيدينا:

(الآيات: 1-9) تخاطب محمد حول مواقف قريش ومطالبهم: طسم {1} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {2} لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ {3} إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ {4} وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ {5} فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {6} أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ {7} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {8} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {9}.

محمد كان يتحسر على بقائهم على الكفر رافة بهم (3) ويتمنى أن يعطيه الله معجزة لعلمهم يؤمنوا كما وعدوه (4)

والقرآن يخبره أنهم لو رأوا المعجزات فلن يؤمنوا ومهما دعوا لن يؤمنوا لأن من لا يؤمن في بداية الدعوة لن يؤمن بها أبداً، ولو أرادوا الإيمان لكفاهم التفكير في خلق الله (5-9).

(الآيات: 10-87) المخاطب بني إسرائيل في الحديث عن موسى وفرعون وإبراهيم مع قومه: وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {10} قَوْمٌ فِرْعَوْنُ أَلَّا يَتَّقُونَ {11} قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ {12} وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ {13} وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ {14} قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ {15} فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا

رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {16} أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ {17} قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ {18} وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ {19} قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ {20} فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ {21} وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ {22}.

(الآية: 13) موسى لديه صعوبة في النطق.

(الآية: 17) دعوة موسى لفرعون ليطلق بني إسرائيل الذين يستعبدهم وليس لأجل أن يؤمن فرعون بدين الله. ولو وافق فرعون فلن يغرق.

(الآيات: 23-31) مثال لأسلوب القرآن المميز، حيث تردد الآيات قال، ويفهم منها من الذي قال هل هو موسى أم فرعون، دون ذكر لهما: قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ {23} قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ {24} قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ {25} قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ {26} قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ {27} قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ {28} قَالَ لَنْ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ {29} قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ {30} قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {31}.

(الآيات: 32-35) تظهر أن مصر فرعون يجيد أهلها السحر: فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ {32} وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ {33} قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {34} يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ {35}.

والسحر هنا ليس بمفهومه الشائع الآن، الذي لا يزيد عن شعوذة لا تضر ولا تنفع، ولكنها استخدمت لاستغلال الناس السذج وامتصاص أموالهم. فالسحر في مصر فرعون علم واحتراف، وليس شعوذة. سحر أهل مصر فن راق وأعمال مذهلة ليس المقصود منها تحويل العدو من إنسان إلى نعجة، أو تحويل الكاره لمتيم، أو غيرها من هذه الخرافات التي يظن العامة أن للشعوذة قدرة عليها ويسمونها تجاوزاً، سحر. فالسحر أساساً علم يمكن تعلمه وإتقانه وما يصدر من الساحر من أعمال هي بالفعل تسحر الألباب. وما قام به السامري من بني إسرائيل يعتبر سحراً بهذا المعنى، حيث استطاع أن يصمم عجلاً من الحلي المذابة يصدر خواراً كخوار البقر الحي.

والآيات تظهر فرعون كأي حاكم طاغية، له مجلس من المنتفعين والمنافقين، يؤمنون على كل ما يقول. وقد سألهم فرعون عما يجب القيام به تجاه ما قدمه موسى. والسؤال ليس لأخذ رأيهم، لأن

أي دكتاتور لا يستأنس برأي غيره ولا يعترف به. لكنه سألهم وهو يعلم أنهم سيذكرون له ما يتوافق مع ما يريد، ولو قالوا بغير ذلك لتصرف بما يريد دون أن يأبه بما صدر منهم.

ولأن فرعون صرح لموسى أن ما قدمه سحر، وأنه لا يصدق أنه مرسل من الله، فالمنتفعون يعلمون أن فرعون ماض لإثبات أن ما قدمه موسى سحر، وذلك بإحضار سحرة يبطلون سحر موسى. فما كان منهم إلا أن: قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ {36} يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ {37}.

ولأن هذا ما يريده الحاكم فقد وافق عليه، ولم يوافق عليه لأنه يؤمن بالشورى.

وبالفعل تم جمع أفضل السحرة في مصر (وهو ما يؤكد أن مصر فرعون متقدمون جداً في علم السحر): فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ {38} وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ {39} لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ {40}.

والآية: 39 تشير وكأن الناس جمعوا بأمر من فرعون، لكن سور أخرى تبين ما حدث بوضوح أكثر، ومن ذلك: {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى} {59} طه.

فالموعد كان يوم عيد في مصر حيث يحضره الناس في ساحة البلد. وقام رجال فرعون بحث الناس على الحضور لمؤازرة السحرة.

وقبل اليوم الموعود تشرف السحرة بالسلام على فرعون في قصره، واستمعوا لتوجيهاته السامية، كما وعدهم جلالته بهباته الكريمة إن هم هزموا موسى. وقبل كل شيء، رضاه عنهم وسروره منهم: {فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأْجُزُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ} {41} قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {42} الشعراء.

وجاء يوم العيد وامتلات الساحة بالناس وحضر فرعون متأخراً عن الجميع في موكب هائل ومركبات مذهبة وحراسة ومنافقين. وكان موسى والسحرة قد اصطفوا قبالة بعض، ولما استقر الفرعون على كرسيه، أعلن بدء المباراة: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى} {65} قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصْبُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى {66} فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى {67} قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى {68} وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى {69} طه.

وبعد أن هدا موسى، سمع السحرة يطلبون منه أن يقدم ما لديه: {فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} {45} الشعراء.

وكانت مفاجأة الحفل التي لم يتوقعها فرعون: {فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ} {46} قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {47} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ {48} الشعراء.

ولأنه حاكم طاغية فلا يتصور أن أحداً سيقدم على تصرف يخالف مشيئته أو رغبته، وإعلان السحرة الإيمان يعارض رغبة الملك، لذا كانت مخالفتهم لرغبته أكثر وقعاً من هزيمتهم والتأكيد على أن ما قدمه موسى ليس سحراً ولكنه قوة من رب العالمين. لأن فرعون لن يؤمن بموسى ولو رأى الله جهرة، لذا تناسى الهزيمة ووجه تحذيراته للسحرة: {قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ} {49} قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ {50} إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} {51} الشعراء.

فلا أحد يخالف الفرعون وينجوا بفعلته.

ثم تنتقل السورة للحديث عن خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى، ولم تتحدث عن تفاصيل أحداث أخرى قبل ذلك: وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ {52} فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ {53} إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ {54} وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ {55} وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ {56} فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {57} وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {58} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ {59} فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ {60} فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ {61} قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ {62} فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ {63} وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ {64} وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ {65} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ {66} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {67} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {68}.

خروج موسى وبني إسرائيل من مصر كان في الليل، حيث تسللوا بسرية (الآية: 52).

(الآيات: 53-56) ما تتحدث عنه الآيات هو ما حصل قبل خروج بني إسرائيل، مما فهمناه من سور أخرى. حيث كان موسى وهارون يجتمعون ببني إسرائيل سراً لوضع خطة للهرب، دون علم فرعون، والآيات تبين أن فرعون قد أعلن لكل سكان مصر ألا يتعاونوا مع بني إسرائيل:

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ {53} إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ {54} وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ {55} وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ {56}.

لاحظ أن الآيات (53-56) تتحدث عن موضوع سابق لما تحدثت عنه الآية (52).

وتكرر مثله في الآيات: 57-59، التي تتحدث عما حدث بعد غرق فرعون، وهي تسبق الحديث عن خروج فرعون لملاحقة موسى وبني إسرائيل: فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {57} وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {58} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ {59}.

ثم تعود السورة للحديث عما حدث قبل ذلك، من ملاحقة فرعون لموسى وغرقه: فَأَتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ {60} فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ {61} قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ {62} فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ {63} وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ {64} وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ {65} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ {66} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ {67} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {68}.

وقد خرج فرعون لملاحقة موسى وبني إسرائيل وقت الشروق " فَأَتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ". وموسى وبني إسرائيل خرجوا منتصف الليل كما أشارت لذلك الآية (52): وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اسْرِبْ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ. وهذا يعني أن فرعون كان نائماً عند خروج موسى وبني إسرائيل، وعند الفجر تم اكتشاف هروبهم وأبلغ فرعون الذي سارع بملاحقتهم.

(الآيات: 69-74) تصور حواراً وكأنه تم بين إبراهيم وقومه، والآيات تصور هذا المشهد ليستقر في ذهن المخاطب: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ {69} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ {70} قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَافِيِينَ {71} قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ {72} أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ {73} قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ {74}.

(الآية: 74) تظهر أن التمسك بالموروث دائماً يعمي الأبصار عن الحقيقة ويعطل الفكر عن التفكير، ولو فكر القوم لعرفوا أن الأصنام لا تضر ولا تنفع.

وتستمر الآيات: قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ {75} أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ {76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ {77} الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ {78} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ {79} وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ {80} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ {81} وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ {82}

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ {83} وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ {84} وَاجْعَلْنِي
مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ {85} وَاعْفُ رَأْفَةً لِّأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ {86} وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ {87}
يَوْمَ لَا يُنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ {88} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {89}.

(الآيات: 90-104) تصوير حسي ليوم القيامة: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ {90} وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ
لِلْغَاوِينَ {91} وَقِيلَ لَهُمْ أَيُّنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ {92} مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ {93}
فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ {94} وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ {95} قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ {96}
تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {97} إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {98} وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ {99}
فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ {100} وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ {101} فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {102}
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {103} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {104}.

(الآيات: 105-191) المخاطب قريش عن أمم سابقة: نوح، عاد، ثمود، قوم لوط، وأصحاب
الأيكة (قوم شعيب) لعل قريش تعتبر مما حصل لهم، والبداية مع قوم نوح: كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ
الْمُرْسَلِينَ {105} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ {106} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {107} فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا {108} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {109} فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا {110} قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ {111} قَالَ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ {112} إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ {113} وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ {114} إِنْ
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ {115} قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ {116} قَالَ رَبِّ إِنْ
قَوْمِي كَذَّبُونِ {117} فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {118} فَانْجَيْنَاهُ وَمَنْ
مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ {119} ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ {120} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ {121} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {122}.

(الآية: 111) عادة ما يتبع الرسل إلا المستضعفين.

(الآيتان: 114-115) وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ {114} إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ {115} وهو منطق
مشابه لمنطق قريش: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ
حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ {الأنعام: 52}

ثم تتحدث الآيات عن عاد: كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ {123} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ {124}
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {125} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {126} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {127} أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ {128} وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ

تَخْلُدُونَ {129} وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ {130} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {131} وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ {132} أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ {133} وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {134} إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {135} قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ {136} إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ {137} وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ {138} فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {139} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {140}.

ثمود يعيشون على تربية الماشية (الآية: 133)، والزراعة (الآية: 134).

ثم تحدثت الآيات عن ثمود: كَذَبَتْ تَمُودُ الْمُرْسَلِينَ {141} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ {142} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {143} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {144} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {145} أَتَنْتَرِكُونَ فِي مَا هَاجَنَّا آمِنِينَ {146} فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {147} وَزُرُوعٍ وَخَلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ {148} وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ {149} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {150} وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ {151} الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ {152} قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ {153} مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {154} قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ {155} وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ {156} فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ {157} فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {158} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {159}.

ثمود أيضاً يعيشون على الزراعة (الآية: 147-148) في واد تحيط به الجبال التي ينحتون فيها غرف (بيوت) لهم (الآية: 149). عددهم قليل لدرجة أن لديهم مصدر ماء واحد للشرب (محتمل أن يكون بئر)، وكان وجود بكميات قليلة، حتى أن ناقة واحدة تستطيع أن تشربها (الآية: 155). ومن هذه الآيات يفهم أن لديهم مياه كافية للزراعة لكنها لا تصلح لشرب البشر، قد يكون لملوحتها. والناقة لا تشرب كل يوم، وقد يكون خصص لها يوم في الأسبوع "لَهَا شِرْبٌ" يَوْمٍ مَعْلُومٍ".

ثم جاء الحديث عن قوم لوط: كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ {160} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ {161} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {162} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {163} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {164} أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ {165} وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ {166} قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ {167} قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ {168} رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ {169}

فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ {170} إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ {171} ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ {172} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ {173} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {174} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {175}

(الآية: 160) تقول: "كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ" ولم يرسل لهم سوى لوط. فالجمع أستخدم هنا للدلالة على المفرد.

بعد ذلك تحدثت السورة عن قوم شعيب أو أصحاب الأيكة:

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ {176} إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ {177} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {178} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا {179} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {180} أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ {181} وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ {182} وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {183} وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى {184} قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ {185} وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ {186} فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {187} قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ {188} فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {189} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {190} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {191}.

والأيكة هي الغنضة أو الشجر الملتف، وهو ما يعني أن قوم شعيب كانوا يعيشون في منطقة شجرية. وكانوا يتعاطون التجارة والبيع والشراء، ويتعاملون بالغش التجاري (الآيات: 181-183). وقد أهلكوا بيوم الظلة، وفي سور أخرى بالصيحة أو الرجفة، كما في سورة العنكبوت: فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ {37} وهو ما يعني الزلزال.

(الآيات: 121، 158، 139، 174) أكثر الناس لا يؤمنون بدعوة الرسل أو أي دعوة دينية إصلاحية: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ".

(الآية: 154) عذر دائماً ما يتعذر به الرافضون للدعوة. ومثلها الآية: 186.

(الآية: 173) مطر السوء = البركان).

(الآيات: 181-183) تثبت أن الدين واحد، فالغش التجاري حرام في الإسلام وفي رسالة شعيب.

(الآيات: 192-201) تتحدث عن القرآن (الوحي المنزل على محمد) والوسيلة الوحيدة للدعوة، وأن قريش لن تؤمن: (الآية: 192-194) القرآن ينسخ في الذاكرة ويقوم بذلك "الروح الأمين" أحد الملائكة: وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {192} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {193} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ {194}.

وأحد الملائكة نعرف أنه جبريل من سورة أخرى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} {97} البقرة.

(الآيتان: 195-196) القرآن بلسان عربي وهو نسخة من الرسائل السابقة: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ {195} وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ {196}.

(الآية: 197): أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. دليل على أن بعض بني إسرائيل قد استجابوا لدعوة القرآن ودخلوا الإسلام.

(الآيات: 198-201) قريش لن تؤمن: وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ {198} فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ {199} كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ {200} لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ {201}.

(الآيات: 202-207) ستندم قريش يوم القيامة الذي ينكرون ولايات ساعة مندم: فَيَأْتِيهِمْ بَغْثَةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {202} فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ {203} أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ {204} أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ {205} ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ {206} مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ {207}.

(الآيتان: 208-209) دليل على أن الله لن يعذب أمة لم يرسل لها رسول: وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ {208} ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ {209}. وهو ما ذكرته من قبل الآية 15 من سورة بني إسرائيل وسور أخرى.

(الآيات: 110-212) ترد على اتهام قريش أن القرآن كلام الشياطين: وَمَا تَنْزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ {210} وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ {211} إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ {212}.

الشياطين المعزولون هم من الجن الذي منعوا من التجوال في الفضاء كما تخبرنا سور أخرى مثل سورة الجن.

(الآيات: 213-220) المخاطب محمد: فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ {213} وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ {214} وَاخْضِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {215} فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّئِهِمْ مِمَّا تَعْمَلُونَ {216} وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ {217} الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ {218} وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ {219} إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {220}.

فحتى محمد يحذر لأنه لا يوجد بشر معصوم ولو كان رسول.

(الآيات: 221-226) تستكمل ما تحدثت عنه الآيات: 210-212 التي ترد على اتهام قريش لمحمد أن ما يقول كلام شياطين أو شعر: هَلْ أَنْبَأُكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ {221} تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ {222} يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ {223} وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ {224} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ {225} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ {226} هَلْ أَنْبَأُكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ {221} تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ {222} يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ {223} وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ {224} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ {225} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ {226}.

(الآيات: 224-226) ذم للشعر والشعراء، وما يفعله المسلمون اليوم هو تمجيد للشعر والشعراء عكس ما قال القرآن عنه. وذم الشعر والشعراء يتنافى مع ما تمتلئ به كتب التراث أن للرسول شاعر اسمه حسان ابن ثابت وأن الرسول كان يحضه على هجاء المشركين. وبطبيعة الحال تبادل الهجاء من الفحش في القول الذي نهى عنه القرآن، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} {72} الفرقان. وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} {3} المؤمنون.

(الآية: 227) توجب على المؤمنين أن ينتصروا لظلمهم وتتوعد الظالم: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ {227}.

وهذه الآية نزلت في وقت كان عدد المسلمين في مكة قليل وضعيف، ومع ذلك أمروا بدفع الظلم ومعاينة الظالم، وهو ما يتنافى مع ما في الحديث والتفسير وفتاوى رجال الدين من الصبر على الظلم ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك.

والآية تبدأ بـ"إلا" وكأنها تستثني الشاعر المؤمن من ذم الشعراء. لكن الاستثناء قد يكون من تبرؤ الرسول الوارد في الآية 216 والتي تقول: فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّئِهِمْ مِمَّا تَعْمَلُونَ.

فالرسول يتبرأ من قريش الكافرة، ويستثنى من ذلك من يؤمن. لأن الشعر مذموم في القرآن في كثير من السور، ولا يمكن أن يتصف به المؤمن. لكن حكام دولة الإسلام هم من أوجد شاعر البلاط وهم من مجد الشعر لأنه أداة للتزلف والمدح لهم. فأصبح الشعر مبعلاً ولم يعد مذموماً كما نص القرآن.

ثم نزلت سورة هود

الأجواء السائدة هي نفس الأجواء التي كانت سائدة عند نزول السورة السابقة

وتبدأ بتأكيد أن القرآن محكم الآيات لا تلاعب فيها، وهي تفصل كل ما يحتاجه المؤمن: الر كِتَابٍ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ {1}.

ثم تواصل السورة مخاطبة قريش والرد على تهمهم التي يوجهونها لمحمد، كما في سور سابقة.

(الآيات: 2-4) تخاطب قريش وتدعوهم للإيمان، وتحذرهم من الرفض: أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ {2} وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ {3} إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {4}.

وتصف الآية التالية موقف قريش الراض بكناية: أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونْ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {5}.

فالآية تصف رفضهم وكأنه ثني للصدور حتى لا يدخلها الحق، ويستغشون ثيابهم كي تغطيهم عن الحق.

ثم توجه السورة دعوة عقلانية لقريش: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ {6} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ {7}.

وقريش تتساءل من باب السخرية لماذا لا يعذبهم الله الآن على كفرهم، والله سيعذبهم يوم الحساب، وعندها لن يكشف عنهم: وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {8}.

وتقول السورة أن الإنسان (المقصود به هنا قريش) إذا ما فقد نعمة كفر: وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْوسُ كْفُورٌ {9} وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضُرَاءٍ مَسَّئَةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ {10}.

وتعد السورة المؤمنين خيراً: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ {11}.

(الآية: 12) تظهر أن محمداً كان يتمنى ألا يقرأ بعض الوحي الذي يغضب قريش لعله يكسب ودهم ويؤمنوا، كما كان يتمنى لو أنزل عليه معجزة لأن قريش تقول له لو رأوا معجزة فسيؤمنوا، ولو رأوا كل المعجزات فلن يؤمنوا: فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ {12}.

(الآيتان: 13-14) ترد على مزاعم قريش حول محمد والقرآن: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {13} فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ {14}. وهي دليل على أن الدعوة كانت بالقرآن فقط، لذا جاء التحدي بالآيتين بعشر سور، وليس آيات.

(الآية: 15) الكسب في الدنيا متاح للجميع بغض النظر عن المعتقد: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ {15} أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {16}. وهو تأكيد لما ورد في الآية 20 من سورة الشورى، والآيات: 18-21 من سورة بني إسرائيل وسور أخرى.

(الآية: 17) بعض بني إسرائيل آمنوا برسالة محمد وكثير منهم لم يؤمن: أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ {17}.

(الآيتان: 18-19) تتحدث عن قريش التي تنسب للقرآن ما لم يقل لتصد الناس من غيرهم للاستماع لمحمد، وتتوعدهم: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {18} الَّذِينَ يَصْدُون عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ {19} أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ {20} أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {21} لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ {22}.

آيات عديدة في سور مكية ذكرت (فمن أظلم ممن افترى على الله الكذب)، وكلها تشير إلى أن قريش تقابل الناس القادمين لمقابلة محمد، وتنسب للقرآن كلاماً لم يقله لكي تنفرهم منه وتصددهم عن لقاء محمد. وهذه التصرفات من أهم ملامح هذه المرحلة والمرحلة القادمة.

(الآية: 23) وعد للمؤمنين: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {23}. ودليل على أن المطلوب إيمان وعمل صالح ولا يكفي واحد منهما.

(الآية: 24) دليل على أن الله لن يغفر لمستحق النار، ولن يعذب مستحق الجنة: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {24}.

(الآيات: 25-103) تتحدث عن أمم سابقة لعل قريش تعتبر. والأمم هي نفسها التي تحدثت عنها السور السابقة كالشعراء.

وتبدأ بقوم نوح: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {25} أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ {26} فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ {27} قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ {28} وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ {29} وَيَا قَوْمِ مَنْ يَبْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {30} وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ {31} قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {32} قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ {33} وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {34} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ {35} وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ {36} وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ {37} وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا

تَسْخَرُونَ {38} فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ {39} حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ {40} وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ {41} وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ {42} قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ {43} وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {44} وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ {45} قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ {46} قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ {47} قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّمْ سَمُتَهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ {48} تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ {49}.

(الآية: 27) سبب يردده المعارضون دائماً، ويتمثل بأن الرسول أو المصلح الديني بشر مثلهم ولا يملك أي مقومات وقدرات خاصة. ودليل على أن المستضعفين عادة هم من يؤمن.

(الآية: 29) نوح وكل الرسل مثل محمد لا يطلب أجر على دعوته لأنه لو فعل فلن يحصل على أجره في الآخرة. وهذا دليل على أن أي عمل لخدمة دين الله لا يجب أن يؤخذ عليه أجر ومن يأخذ أجراً في الدنيا فقد حرم نفسه من أجر الآخرة. وهذا ينطبق على إمامة الصلاة والأذان وكل عمل لخدمة الدين الذي تحول لوظائف برواتب شهرية.

الآيات: 29-32 تظهر بعض ما طلب به قوم نوح، وهو مشابه لما طالبت به قريش: وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ {29} وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {30} وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ {31} قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُنتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {32} قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمُ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ {33}.

(الآية: 31) منطق الرسل واحد، فكلام نوح هنا هو ما قالتها الآية 50 من سورة الأنعام، عن محمد: {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} {50}.

وهذه الآيات تشابه قوله تعالى في حق محمد، مثل: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا {57} الفرقان.

ومثل: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} {الأنعام 52}

ومثل: وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {8} هود.

وتواصل الآيات الحديث عن قوم نوح: وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {34} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرَمُونَ {35} وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ {36} وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ {37} وَاصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ {38} فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ {39} حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ {40} وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ {41}.

الآية: 36 تؤكد أن من لا يؤمن في بداية سماع الدعوة لن يؤمن أبداً، هذه قاعدة في كل زمان ومكان.

الآية: 40 لم يؤمن إلا قلة، وهي حقيقة تحدثت عنها سور كثيرة: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} يوسف 103

فغالبية الناس تتمسك بمصالحها الدنيوية ولا تميل للدين.

الآية: 40 تقول: قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ". وهي تشير للحيوانات التي أمروا بحملها معهم. وقوم نوح قبيلة صغيرة العدد، من الواضح أنهم يعتمدون في حياتهم على تربية الماشية

(بقر، أو غنم، أو جمال) وبالتالي فكل بيت يملكون عدداً منها. وبما أنه لم يؤمن مع نوح سوى نفر قليل، فقد أمر كل شخص أن يحمل معه زوج من حيواناته لكي تتناسل فيما بعد. ويترك بقية ماشيته التي سيطويها الطوفان مع القوم الكافرين لأنه لا مكان لها في سفينة نوح. التي بناها على قدر استطاعته، والتي لا يمكن أن تكون كبيرة الحجم. وإنما مركب يكفي للطفو فوق سطح الماء إذا ما فاجأها الطوفان. والدليل على صغر المركب وقلة عدد المؤمنين أنهم لم يركبوا فيها إلا بعد أن فار التنور مؤذناً ببداية ضرب الطوفان للمنطقة.

وتواصل السورة الحديث عما حدث: وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ {42} قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ {43}.

وقوله: وحال بينهما الموج". يصور سرعة مياه الطوفان العاتية التي حملت ولد نوح بلحظة وهو لم يكمل حديثه مع والده.

وتستكمل السورة ما حدث: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {44} وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ {45} قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ {46} قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ {47} قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ {48}.

ثم يتوجه الخطاب لمحمد: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ {49}.

تفاصيل ما حدث لنوح لا يعرفه محمد ولا قريش، وإن كانوا يتناقلون أباً عن جد أن قوم نوح أهلكوا دون التفاصيل.

ثم تنتقل السورة للحديث عن عاد: وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ {50} يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ {51} وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ {52} قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا

نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ {53} إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {54} مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ {55} إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {56} فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ {57} وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ {58} وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ {59} وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ {60}.

(الآية: 52) تقول على لسان هود: "وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا". المعنى أن الله هو من يرسل المطر، لكنه لا يعني أن التوبة شرط لنزول المطر. فالمطر ينزل إذا توفرت ظروف مناخية مناسبة، بغض النظر على من ينزل، ولذلك فالمطر ينزل على المحيطات والبحار.

التوبة تعني العودة عن الخطأ والتعهد بعدم الرجوع إليه.

ثم تتحدث السورة عن ثمود: وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ {61} قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ {62} قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ {63} وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ {64} فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ {65} فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ {66} وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ {67} كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لَّثَمُودَ {68}.

ثم تتجه السورة لمخاطبة بني إسرائيل، في الحديث عن إبراهيم: وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ {69} فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ {70} وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ رَائِهَا إِبْرَاهِيمُ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ {71} قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ {72} قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ {73} فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ {74} إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ {75} يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ {76}

فقد حضر مخلوقات كونية لإبراهيم، ولديها القدرة على التشكل بهيئة جسدية (بشرية). مما جعل إبراهيم يظن أنهم بشر وقدم لهم "عجل حنيز". والحنيز أكلة مشهورة في جنوب غرب جزيرة العرب منذ القدم وانتشرت اليوم في كل الجزيرة.

لكنهم ليسوا بشر وليس لهم أجهزة هضمية كونهم لا يستطيعون تناول الطعام.

ولديهم القدرة على تخصيب المرأة التي توقفت عن الإنجاب، وما يساعدهم في ذلك أنهم مخلوقين من طاقة.

(الآيات: 74-76) تخبرنا أن إبراهيم حاول أن يثني تلك المخلوقات عن هلاك قوم لوط، لأنهم قومه هو.

وتستمر الآيات تخبرنا ما حدث بعد وصول تلك المخلوقات لقرية إبراهيم ولوط، وكيف حاول قوم لوط التحرش الجنسي بهم: وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ {77} وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهَرَّعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ {78} قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ {79} قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ {80} قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ {81} فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ {82} مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ {83}.

(الآيات: 77-80) تظهر أنه لما حلت تلك المخلوقات في بيت لوط شعر بالحرَج والقلق لأنه يعلم أن قومه سيهرعون إليهم لفعل الفاحشة بهم ظناً منهم أنهم بشر، وهو ما حدث بالفعل. وهنا عرض لوط بناته على القوم بدل أن يفضحوه عند ضيفه. وهذا يظهر لوط وقد كان مستعداً لتقديم بناته ليفعل القوم بهن الفاحشة على أن يخزيه القوم في ضيفه. فهو مقابل أن يبدوا شهماً مكرماً ضيفه (عادات وسلوك) كان مستعداً لاقتراف معصية دينية. ((تصرف بشري بحت))

ثم تحدثت السورة عن قوم شعيب: وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ {84} وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {85} بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ {86} قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ {87} قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ {88} وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ {89} وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ {90} قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ {91} قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ {92} وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ {93} وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ {94} كَانُوا لَمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ {95}.

الآية 89 تؤكد أن شعيب أرسل بعد قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط.

ثم تتحدث السورة عن موسى وفرعون: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {96} إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ {97} يَتَّقُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ {98} وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَسِ الرَّفْدِ الْمَرْفُودُ {99} ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ {100} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ {101} وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ {102} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ {103}.

(الآية: 101) الدين خيار شخصي حر.

(الآيات: 104-109) تتحدث عن يوم الحساب ومصير الكافر والمؤمن: وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ {104} يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ {105} فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ

لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ {106} خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ {107} وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ {108} فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ {109}.

(الآية: 103-104) ليس هناك عذاب في الدنيا لمن لا يؤمن، ولكن العذاب لا يكون إلا يوم القيامة وبعد الحساب. والكوارث التي تقع في الدنيا تقع للكافر والمؤمن. وما حدث للأمم سابقة مثل قوم نوح وعاد وثمود... الخ أنهم لو آمنوا لابتعدوا مع رسولهم ومن آمن معه ونجوا من الهلاك، لكن الكارثة كانت ستقع، سواء كانت زلزال أو بركان أو غيره.

(الآيتان: 107-108) دليل على أسلوب القرآن، فالآيتان تقولان أن الكافر سيبقى في النار إلا ما شاء الله، والمؤمن سيبقى في الجنة إلا ما شاء الله. وكأنه لا يوجد خلود أبدي، وكأن المسلم سيخرج من الجنة بعد فترة والكافر سيخرج من النار بعد فترة، وهو ما يتناقض (ظاهرياً) مع آيات كثيرة تؤكد خلود أبدي لأهل الجنة ولأهل النار. والخلود أبدي لكن الآيتان تقولان أنه لو شاء الله لما خلدوا، فكل شيء بمشيئة الله.

(الآيات: 110-113) تخبر عن ابتعاد بني إسرائيل عن الدين، وتطلب من الرسول ومن آمن معه التمسك بالدين: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ {110} وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُؤْفِقُنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالُهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {111} فَاسْتَقَمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {112}.

(الآية: 113): وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ {113}

تخاطب المسلمين في مكة، وتشير إلى أن فئة منهم ركنوا ووالوا من ظلموا (أي قريش) الذين ظلموا المستضعفين من المسلمين بتعذيبهم جسدياً كما بينت سور سابقة، حيث فرض للمسلمين معاقبة الظالم ودفع الظلم.

وهذه الآية تتحدث عن وضع جديد ظهر للساحة بين المسلمين يتمثل بموالاة فئة من مسلمي قريش لأقاربهم المشركين وموالاتهم. وهذه الفئة هم من تحدثت عنهم (الآية: 53) من سورة بني إسرائيل وقبلها الآية العاشرة من سورة الشورى. وأخبرت أنهم اشتبكوا مع فئة مسلمة أخرى في خلاف. وسنرى أن هذه الفئة التي توالي قريش ستستمر في موالاتها برغم تحذير القرآن لهم،

وسيستمرون بخلافاتهم مع الفئة الأخرى من المسلمين الذين سنتبين أنهم المستضعفين. كما سيتسببون في مشاكل جمة للمسلمين والإسلام، وسنطلق عليهم مسمى "مسلمة قريش". وهو اصطلاح يعني من أسلم من قريش ولكنه يوالي أقاربه المشركين من قريش.

(الآية:114) تفرض ثلاثة أوقات لأداء الصلاة تضاف للوقتتين اللذين فرضا في الآية:78 من سورة بني إسرائيل: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ {114}.

ولو أضفنا هذه الأوقات الثلاثة للوقتتين اللذين فرضا في الآية 78 من سورة بني إسرائيل فإن الأوقات المطلوبة للصلاة أصبحت خمسة في اليوم والليلة، وليس هناك أية أخرى تضيف أي وقت آخر غير ما ذكر.

والملاحظ هو أن هناك صلاة عند طرف النهار الأول (أي بعد شروق الشمس)، وصلاة أخرى عند طر النهار الأخير (أي قبيل غروب الشمس). ولا يذكر القرآن صلاة للظهر أو العصر اللتين يصليهما المسلمون اليوم، ويتركون صلاتي طرفي النهار المذكورين في القرآن.

وتختتم السورة بمخاطبة الرسول حول ما يجري في مكة في تلك الفترة: وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {115} فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَعَثَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ {116} وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ {117} وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ {118} إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَٰذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ {119} وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ {120} وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ {121} وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ {122} وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {123}.

(الآية:115) تدعوا الرسول للصبـر والتحمل على متاعب الدعوة.

(الآية:116) تقول أن القلة من المؤمنين مع كل رسول هم من يبقى بعد هلاك قومهم يعبدون الله. وفيها إشارة إلى أن من آمن في مكة قليل. وهو ما تؤكد الآيتان التاليتان.

(الآيتان: 117-118) قاعدة وسنة سارت عليها كل الناس في كل زمان: القلة مؤمنة والكثرة رافضة.

(الآية: 120) سرد قصص الأمم الكافرة السابقة للتأكيد لمحمد أن كل الرسل كذبوا ومر عليهم من المحن ما يمر على محمد. وكذلك عبرة لقريش لو رغبت في الإيمان.

(الآيتان: 121-122) دعوة للتعايش السلمي مع قريش (لكم دينكم ولي دين).

ونكون قد انتهينا من المرحلة السادسة

وإلى اللقاء مع اليوم رقم 10 إن شاء الله.

والسلام عليكم